مذكّرات
في زمن الثــورة
الجزء الأول

سـارية عبد الكريم الرفاعي

مكتبة الأسرة العربية
اسطنبول
نحو أسرة عربية واعية ..
ARAP AİLE KÜTÜPHANESİ - ISTANBUL

مذكّرات

في زمن الثورة

الجزء الأول

MUZAKİRAT

Fİ ZAMAN ALTHAWRA

SARİYA ALRİFAİ

1. Baskı: İstanbul
2020 - 1442

مذكّرات
في زمن الثــورة

الجزء الأول

الشيخ
سارية عبد الكريم الرفاعي

مكتبة الأسرة العربية
اسطنبول
نحو أسرة عربية واعية ..
ARAP AİLE KÜTÜPHANESİ - ISTANBUL

مذكّرات
في زمن الثــورة

تأليف: سارية الرفاعي

القياس: 17 X 24 سم

عدد الصفحات : 240 ص

ISBN: 978-605-7618-26-9

الطبعة: الأولى

1442 هـ - 2020 م

جميع الحقوق محفوظة

مكتبة الأسرة العربية ® اسطنبول
نحو أسرة عربية واعية ..
ARAP AİLE KÜTÜPHANESİ - ISTANBUL

طبــاعــة ونشــر وتوزيع
إصدارات مُختــارة للأســرة العربيــة

www.ArabFamilyBs.com

+90 212 631 81 09 - +90 531 935 71 31

info@arabfamilybs.com

UFUK neşriyat®
BASIN-YAYIN-DAĞITIM

Sertifika No: 35657

الآراء الواردة في هذا الكتاب تخص الكاتب وحده ولا تعبّر بالضرورة عن رأي الدار

UFUK NEŞRİYAT TÜRKİYE BASIM YAYIN MESLEK BİRLİĞİ ÜYESİDİR.

Baskı Cilt: ERG Matbaacılık Sanayi Ltd. Litros Yolu Topkapi İstanbul

إهداء

أقدِّم هذا الكتاب الذي يحوي ذكرياتي من بداية الثورة السورية عام ٢٠١١م وإلى تاريخ صدورها بعد المرض الذي أصابني وأقعدني في بيتي، أراقب الأحداث وأنتظر لقاء ربي لألحق بركب الشهداء الأبرار تكرماً منه سبحانه...

أقدِّمه وأهديه إلى كل غيورٍ على دينه ووطنه وأمَّته، أهديه إلى كلِّ شابٍّ رفع صوته بكلمة (الله أكبر)، فأصابته رصاصةٌ، فأردته شهيداً...

أهديه إلى كلِّ أمٍّ فقدت ولدها وهي تقول: (حسبي الله ونعم الوكيل، لئن قبضتَ ولدي فأنتَ ثقتي وعليك اعتمادي)...

أهديه إلى كلِّ أبٍ فقد ولداً أو أولاداً وأسرةً تحت القصف ليقول: يا رب، إنهم دمَّروا حياتي، ويكفيني قلبي العامر بحبك:

فليت الذي بيني وبينك عامرٌ ... وبيني وبين العالمين خرابُ

إذا صحَّ منك الودُّ فالكلُّ هيِّنٌ ... وكلُّ الذي فوق التُّرابِ ترابُ

أهديه إلى كلِّ طفلٍ نشأ في ظل القتل والقصف، وفقد أبويه ليجد نفسه شاباً بلا أبٍ ولا أمٍّ، فتذكَّرَ يتيم الأبوين رسولَ الله صلى الله عليه وسلم.

أهديه إلى كلِّ صابرٍ على ما أصابه، فلم يتزعزع إيمانه بربه؛ لعلمه أن الدنيا دار ابتلاءٍ، وأن أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل.

أهديه إلى كلِّ جريحٍ ومُصابٍ فقد بصراً أو قدماً أو يداً؛ ليكون معترفاً بعجزه وضعفه، وليعيش في قمة السعادة مع ربه كما هو حالي الآن، فيتمثل قول النبي صلى الله عليه وسلم:

وهل أنتِ إلَّا إِصْبَـــعٌ دَميتِ ... وفي ســـــبيل الله ما لقِيـــتِ

أهديه إلى كلِّ هؤلاء، وأتقدَّم به إليهم على استحياءٍ؛ لاعتقادي أن هؤلاء أفضل مني، فليست العبرة بالأسماء اللَّامعة، بل بالمواقف الرائعة، فهؤلاء هم الذين سطَّروا بدمائهم ومصابهم أروع الأمثلة، ولهولاء وأمثالهم كان النبي صلَّى الله عليه وسلَّم يقول: واشوقاه لإخواني... ونحن نقولها: واشوقاه للحبيب محمد وآله وأصحابه.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيِّد المرسلين، وإمام المجاهدين، وآله وصحبه أجمعين، ومَن سار على نهجهم إلى يوم الدين.

وبعد:

فإن إلحاح الكثير من الغيورين على سوريا وثورتها أن أكتُبَ ما شهدتُه وشهِدَه الناس في بداية محنتنا وحتى الآن، والتي قلَّ نظيرها في العالم المعاصر وفي التاريخ الإنسانيِّ كلِّه، كلُّ ذلك جعلني أكتبُ، فإن كتبتُ فللتاريخ الذي يُحاول الكثير من أعداء الحق تزويره، وللبيان الصَّريح الواضح الذي يُحاول المخالفون تأويلَه وتغييرَه.

إنَّ الثَّورةَ السُّوريَّة التي مضى عليها ما يُناهز تسع سنواتٍ ونصفٍ، قد شهدتُ بدايتها، وحذَّرتُ من عواقبها، وتابعتُ أحداثها خطوةً خطوةً...

وإنَّ مخطَّطاً عالمياً لتدمير (إنسان سوريا) قبل مدارسها ومشافيها ومساجدها قد رُسِمَ، وإنَّ تدبيراً عالمياً لتدمير سلاح الجيش السوري الذي امتصَّ مُقَدَّرات الشعب لبنائه وتشييده، ما كنا نظنُّ أنَّ إعداده وأعداده كان لقتل أبناء هذا الشعب والنَّيلِ من حريته وكرامته.

لقد حذَّرتُ أركان الدولة قبل بداية الثورة بشهرين من طوفان يُغرِق السفينة إنْ لم يتداركوا الأمر بإصلاح الوضع السياسيِّ والاقتصاديِّ والاجتماعيِّ، وقلتُ لهم: إنَّ ناراً ستَلْتَهم الأخضر واليابس إنْ لم ترفعوا الظُّلم وتقضوا على الفساد، فها هي العديد من بلاد الوطن العربيِّ ثارت؛ لما فيها من ظلم عمَّ أرجاء البلاد، وإنَّ بلدنا ينبغي أن نغار عليها غَيرتَنا على شرفِنا، فحرامٌ علينا أن نفرِّط ببلدٍ باركه الله، وجعله صفوة البلاد في أرضه، واجتبى إليه أولياءَه وأحبابَه.

لقد أدرك بعض المسؤولين النَّصيحةَ، وقالوا: إننا نعْلمُ إخلاصَكَ للبلد، وحرصَكَ على أمنها واستقرارها، ولكنَّ البعض الآخر -ومنهم ساكنُ القصر بشار- قال لي: قد يفهم البعض من كلامكَ التَّحريضَ، فقلتُ: إنه اجتهادُكَ واجتهادُ بعض ضباط الأمن، أما اجتهادي؛ فهو أن نتدارك الأمر قبل أن تقع الطَّامةُ الكبرى.

كنتُ أشعرُ -والكلُّ يشاركني هذا الشعور- أنَّ بركاناً سينفجر لا محالةَ، لا بتحريضِ أحدٍ من البشر؛ إذ لم يكن لأحد يدٌ في تحريك الشباب ولا في تهدئتهم، رَغم اعتقادي أن أعداء أمَّتِنا في الخارج يسعون لتدمير البلد ومُقدَّراته.

ثار الشَّبابُ نتيجة العدوى والاحتقان في صُفوف الشَّعب رَغم تحذيرِنا المتكرِّر لصُنَّاع القرارِ أن يسارعوا إلى استيعاب الشارع الآيل إلى الانفجار، لكنَّ إرادة المولى كانت النَّافِذةَ أوَّلاً وآخراً، ولا رادَّ لقضائه وقَدَره.

بدأت المظاهرات من درعا، حيث أثارها حُمق رئيس المخابرات فيها ومحافظها باعتقال أطفالهم الذين كتبوا عباراتٍ على الجُدران، فتمَّ اعتقالهم وتعذيبهم حتى قضى بعضهم تحت التعذيب.

حاولنا بشتَّى الوسائل أن نكون عوناً للحُكَماء من المسؤولين في احتواء الأزمة، فلم

نجد في الدولة حكيماً ولا رشيداً، أو بالأحرى لم نجد مسؤولاً أو صاحبَ قرارٍ.

التقَيْنا مع ساكن القَصْرِ وأعوانه في مكتب الأمن القوميِّ مجتمِعين ومتفرِّقين مراراً، واتَّفَقْنا على آليَّاتٍ لتجنيب البلاد مآلاتٍ لا تُحمَدُ عُقْباها.

ذهَبْنا بناءً على طلب ساكن القصر إلى درعا، والتقينا بعُلمائها ووُجهائها لنتلقَّى طلباتِهم حتى تُنفَّذَ بالكامل كما وَعد، فما وجدنا بعدها إلا تصعيداً، رَغم وعودهم بتنفيذ ما نتوصَّلُ إليه.

كنا نطرح حلولاً لأركان الدولة، فنجد تجاوباً في المجلس يُعبِّرُ عن القبول، فإذا خلا بعضُهم إلى بعضٍ قالوا: إنما نحن مستهزئون.

بقينا على ذلك أربعة أشهرٍ أو يزيد، ولا نجد إلا ضَحِكاً على اللِّحى، فآلينا على أنفسِنا أن لا نزور القَصْرَ ولا المسؤولين في طلبٍ أو نداءٍ من نداءاتهم.

زارنا الكثير من المسؤولين على أملِ أن لا نتخلَّى عن المسؤوليَّة، فقلنا: هذا شأنُنا، والقضيَّةُ قضيَّتُنا، لكننا لا نرى أيَّ حلٍّ في الاستجابة، فيقولون: (لا نشكُّ أنَّ الحلَّ عندكم)، ظانِّين أنَّ الشباب الثائر ممَّن فقد أباه أو أخاه، أو هُتِكَ عِرْضُه سيستجيب لنا وينقاد لأوامرنا!

فنقولُ لهم: إنَّ الدولة بجيشها وأجهزة أمنها لا تملِكُ القرار، أو لعلَّها تملِكُه لكنها لا تريد الحلَّ، بل تريد التَّصعيدَ والبَطْشَ كعادة عُتاةِ الأمن فيها.

ساعدناهم وكنَّا معهم في فكِّ الاعتصاماتِ، مع الوعود بعدم الإساءة للمعتصِمين، فلا يكون منهم إلا القتلُ والتعذيب المُمِيت، فكنَّا نقول في خُطَبِ الجمعة: والله إنَّ الإرهاب إرهابُكم؛ إذ لا نجد من الأمن والجيش إلَّا الإثارةَ والتَّحريضَ.

وختاماً أقول: إنَّ الثَّورة كانت سبباً في التطهير للمجتمَعِ المشارِك بالظُّلم بكلِّ شرائحه، لكنَّها - في الوقت نفسه - كانت الفاضحة لشرائح مِن منظَّماتٍ أو دولٍ وأفرادٍ لا تخفى على أحدٍ، ولعلَّك -أخي القارئَ لهذه المشاهد والمواقف مما شاهدتُه وشهدتُه- تتعرَّفُ على الحقيقة فيما جرى في سوريا بكلِّ صدقٍ وأمانةٍ.

وإن الذي جعلني أكتبُ هذه الذِّكْريات هو تلك المشاهد التي عاينتُها سنةً كاملةً مِن بداية الثَّورة، إلى أن وجدتُ نفْسي حبيس بيتي -لا خطبةَ، ولا تواصُلَ، ولا نشاطَ- فضلاً عن تهديداتٍ مُبَطَّنةٍ بالقتل الذي لا أُعِيرُه أيَّ اهتمامٍ؛ لأنَّ الأجَل مكتوبٌ.

فخرجتُ من سوريا بعد عامٍ كاملٍ مِن بَذْل الجُهدِ مع المسؤولين بالإصلاح والتَّغييرِ، ومع الشَّبابِ الثَّائر بالتَّوجيه؛ لئلَّا تنحرف الثّورة عن سِلْمِيَّتها، لكنَّني وجدتُ أن النظام لا إرادة له في الإصلاح، ولا سبيل للوصول إلى من بيده الزِّمام من دول العالم الذين وزَّعوا الأدوار لتحطيم هذا البلد بأيدي أهلِها بعيداً عن التفكير بالحلِّ لهذه الأزمة بكل جدِّيَّةٍ.

كلُّ هذه المعلومات وما لديَّ من معطياتٍ عمَّا حدث وما يحدث في سوريا سأسردها في هذا الكتاب ما دام أنَّ أصحاب العلاقة وأرباب الشأْن في مجرياتها موجودون، وأنَّ أهل بلدي عليها يشهدون، فلذلك استجبتُ لإلحاح الكثير ممَّن شهدوا الأحداث في الدَّاخلِ قبل خروجنا خارج سوريا بعد أن وجدنا الخروج أنفع لأبناء أمَّتِنا.

و الذي أرجوه من القارئ ألَّا يتبادرَ إلى ذهنه -وخاصةً عند بحث اللِّقاءات مع المسؤولين الكبار في الدَّولة- أنَّني فرِحٌ أو سعيدٌ بمجيئهم إلى بيتي، فمِثْلُهم

والله لا يشرِّفني أن يزورَني أمثالُهم من الظَّلَمةِ وأعوان الظَّلَمةِ، لكنَّني أذكرُ هذا للتاريخ بأنَّني ما قصَّرتُ باستقبالهم واللِّقاء معهم، مع أنَّني لا أرغب بذلك، و لكنْ معذرةً إلى ربِّكم.

أسأل الله العليَّ القدير أن يرحم شهداءَنا، وأن يُداويَ جرحانا ومرضانا، وأن يُفرِّجَ عن أسرانا، وأن يحفظ أطفالنا ونساءنا وشبابنا من كلِّ سوءٍ، وأن يجمع شَمْلَنا في بلادنا بالنَّصرِ القريب والفرج العاجل، آمين آمين آمين، والحمدُ لله رب العالمين.

من إستانبول وعلى فراش المرض

سارية عبد الكريم الرفاعي

بداية الثورة في سوريا

ما كان أحدٌ يظنُّ بأن سوريا سيُصيبها عدوى الانتفاضة الشَّعبيَّة والاحتجاجات على ظُلْم النِّظام والفساد العام، وما كان أحدٌ يُصدِّقُ أنَّ عامَّة الشعب سيصرخون: نريد الإصلاحَ، ونُطالبُ بالحريَّة والكرامة والمساواة، وقد رأوا أنَّ النُّوَّابَ في مجلس الشَّعبِ منهم مَن أحيل إلى المحاكمة، ومِن ثَمَّ إلى السجن؛ لأنَّه فكَّرَ بصوتٍ عالٍ فضلاً عن تكتُّلٍ أو دعوةٍ للإصلاح.

لقد أخرَسوا الألسُنَ، وأرعبوا القلوبَ بما كنَّا نسمعه عن السَّجين في معتقلاتِهم بما لا يُمكنُ أنْ يُصدَّقَ لولا أنَّ عشرات الآلاف خرجوا يتحدَّثون عن الفظائع والتَّصفيات الجسديَّة بالتَّعذيب أو التَّجويع، عند ذلك أنَّى لأحدٍ أن يُكذِّبَ ذلك؟!

ولعلَّ الشَّابَّ يُعتقلُ مِن جامعته أو مِن الطريق، ولا يعلَمُ أهله عنه أيَّ خبرٍ، وربَّما يبحثون عنه في المستشفيات ومخافِرِ الشُّرطة حتى فروع الأمن والمخابرات، وتمضي الشهور ولا يصِلون إلى أيِّ معلومةٍ عن ولدهم الذي ما عرفوا عنه سياسةً، ولا مُعارضةً، ولا مُشاكسةً إلَّا أنه اصطدم مع بعثيٍّ أو علَويٍّ أو صاحب نُفوذٍ في أجهزة الدولة، ولولا أنَّ شخصاً يفرَّج عنه بعد شهورٍ أو سنواتٍ ليُخبِرَ أهل هذا الشابِّ بأنَّه في فرع كذا، وأنَّ مشكلته تقريرٌ من أحد خُصومِه في الجامعة أو العمل، كتَبَ فيه أنه تكلَّمَ عن (سيادة)

الرَّئيس أو عن الأمن، فزُجَّ في السجن بضع سنين أو أقل أو أكثر دون كبيرِ جرمٍ أو عظيم خطر!

نعم، مثلُ هذا كثير، ولا يخفى هذا على أحدٍ مِن أبناء سورية مِن أقصاها إلى أقصاها، وإني لأذكر أنَّ أحد الشَّباب ممَّن أعرفه دخل سوريا من الحدود اللُّبنانيَّةِ، ولعلّ تشابهاً بالأسماء حصل لدى عناصر الأمن في الحدود، فقال أحدهم: أعطوه ورقة مراجعةٍ للفرع العسكريِّ وأريحوا أنفسكم.

وفي اليوم التالي يذهب بنفْسه للمراجعة ولم يعُد، وتمضي ثلاثة أيامٍ وجاء إليَّ أهلُه يُخبرونني، فذهبتُ إلى اللواء عبد الفتاح قدسية «رئيس شعبة الأمن العسكري» وقلتُ له: هل لدينا في هذا البلد قانونٌ؟ فتعجَّبَ مِن كلامي، أعدتُ السّؤال ثانيةً، فأنكر عليَّ قولي، قلتُ: أنا أسألكَ لأنَّ بين يديَّ مشكلةً لأحد أحبابي أعرِفُه تمام المعرفة، قضيَّتُه كذا وكذا، ثمّ قلتُ للِّواءِ: هل هذا قانونٌ؟ قال: لا، هذا ظلمٌ، فقلتُ: واللهِ إن بلدنا كلَّه وبكلِّ مؤسَّساتِه على هذه الشاكلة.

إنَّ مِثْلَ هذه الحادثة -ومثلُها الكثيرُ- هو ما جعل شباب الأمة يهُبُّون ليُعبِّروا عن آرائهم ويُطالبوا بكرامتهم، وهم يرون ما حلَّ ويحِلُّ بمَن لا ذنب له، وليس لديه أدنى مُعارضةٍ.

لئن أحرقَ بوعزيزي نفسه في تونس وهبَّت الثّورة إِثْر ذلك، وخلعوا رئيسهم بن علي، فإنَّ سوريا لديها شعار آخر -ولكن بالمفهوم عكسه-، إنه شعار: (نحرق البلد ويبقى الأسد)...

من أوائل المظاهرات التي اندلعت ضد النظام السوري أمام المسجد العمري في مدينة درعا – آذار ٢٠١١

شعار النظام الأبرز (الأسد أو نحرق البلد) على جدار أحد أحياء مدينة حمص – أيار ٢٠١١

شعار النظام الأبرز (الأسد أو نحرق البلد) على جدار أحد أحياء مدينة الزبداني - نيسان ٢٠١١

ما كنتُ أُصدِّق ما قاله وزير الخارجية المعلِّم: أنَّ كلَّ ما حصل في تونس ومصر وليبيا فسوريا بخلافه، وما كنت أُدرك أنَّ العالم كلَّه سيُناصره حتى يبقى، وستوزع الأدوار بين غربٍ وشرقٍ.

مُعسكرٌ في الغرب يُعلِنُ صراحةً ومنذ بداية الثَّورة أنَّ الأسد فقد شرعيَّته، وأنَّ عليه أن يتنحَّى، ويتحرَّك العالَم كلُّه من أجل إرضاء الشعب السوري، ومعسكرٌ في الشرق يقوم بدوره بمنع أيِّ قرارٍ يتَّخذه مجلس الأمن بما حباه الله من (نعمة الفيتو)!

ما كنت أُصدِّق أنّ قراراتٍ تُتَّخذ من الجامعة العربيَّة والاتحاد الأوربيِّ وهيئة الأمم، ثم تُرمى في مزبلةٍ مخصَّصةٍ يُتَّفق عليها بين الشرق والغرب للضَّحكِ على الشعوب الضعيفة.

بدأت الثورة وما كان يظنُّ أحدٌ أو يُصدِّقُ شعار: (نحرق البلد، ويبقى الأسد).

بدأت الثورة وما كان أحدٌ يتوقَّعُ أن إيران الدّولة الإسلاميَّةَ -لما لها من تحالُفٍ مع

الأسد ونظامه العلمانيِّ- ترضى أن يُسفَكَ دم الشَّعب السُّوريِّ فضْلاً عن مُشاركتهم بالمال والرجال والعَتاد بالقتل لأهل السُّنَّة، وذبح أطفالهم وهم على صدور أمهاتهم، وعصابةُ جبينِهم مكتوبٌ عليها: (يا حسين)، أيرضى الحسين وجدُّ الحسين وربُّ الحسين بهذا؟؟!!!

حاجز لإحدى المليشيات العسكرية الشيعية التي انتشرت في مدينة دمشق - كانون الثاني ٢٠١٤

بدأت الثورة وما كنت أتصوَّرُ أنَّ مُحِبا لوطنه وأمَّته يرضى بقتل متظاهرين وقصف بيوتهم بالصواريخ والطائرات والكيماويِّ، ثم يُصدِّقُ مقولةَ النظام: إنهم العصابات المسلَّحة، أو يُبرِّرُ للنظام هذا القتل والتدمير دون أن يعترض على ما يرى، وما يُشاهده العالَمُ كلُّه.

عناصر من مليشيا لواء الحسين الشيعية التي تقاتل إلى جانب النظام السوري في بلدة حجيرة بريف دمشق -تشرين الثاني ٢٠١٣

بدأت الثورة وما كان يخطر على بالي أن يُطلَق سراح المتطرِّفين التكفيريين من سجون النظام ليرتبطوا بالقاعدة من جديدٍ، ويستقطبوا شباباً من أنحاء العالم ليكونوا تحت رايتهم، أو أن يستقدم النِّظام شباب الشِّيعة من باكستان وغيرها، ويقيموا لهم دورات بالفكر التكفيريّ، ويُقال لهم: تناسوا الشيعة، فالحرب خدعةٌ، وأنتم ستدخلون صفوف الجماعات الجهادية لتقتلوا المسلمين؛ لأنَّهم نواصِبُ كفرَةٌ.

إنّه المكر والخداع الذي لا يخطُرُ في بال إبليس اللّعين، ليقولوا للعالم بأسرِه: إمّا نظام الأسد، وإمّا القاعدة التي ستهدِّدُ أمن إسرائيل والدول العظمى!

إنَّ شدَّة العنف والقمع والقتل حوَّل سلمية المظاهرات إلى تسليحٍ...

فقد قامت المظاهرات في كلِّ أنحاء المحافظات السورية ومدنها وقراها، وكانوا يطالبون في البداية بالإصلاح ونيل الحرية والكرامة، وكانت المساجد مكاناً لانطلاقة

تلك المظاهرات وخاصةً بعد صلاة الجمعة.

كان يُحدِّثني بعض الشباب أنه لا يستطيع أن يبقى في البيت وأقرانُه وأصدقاؤُه في المظاهرات التي تُنادي برفع الظُّلم والفساد، كان يعتقد أنه إنِ اعتزلها كان راضياً بالظلم والفساد الذي عمَّ البلاد، فكان يخرج ويُشارك ليرضي ربَّه وضميرَه وأمَّته.

لقد كان المتظاهرون لا يتجاوزون شعارات طلب الإصلاح ونيل الحرية والكرامة، إلى أن اشتدَّ القمع والقتل والاعتقالات والتعذيب فيها؛ ليخرُجَ الشابُّ من المعتقل أشدَّ إصراراً على التظاهر، وكنتُ أقول للمسؤولين: (إيَّاكم أن تظنُّوا أنَّ الاعتقال والتعذيب والقتل يُخفِّفُ من وطأة المظاهرات، كلا، بل يزيدها حِدّةً وكثرةً، فإنَّ مَن قُتل ابنه أو أخوه أو صديقه سيحلُّ محلَّه أكثر من مائة)، ولكنَّ النظام الذي اعتاد على القمع والاستعباد لا يُطيق أن يسمع كلمةً أو صوتاً يُنادي بالحرية.

المظاهرات السلمية في مدينة حماة ٢٠١١

المظاهرات السلمية في مدينة حمص ٢٠١١

المظاهرات السلمية في مدينة الباب بريف حلب ٢٠١١

المظاهرات السلمية في مدينة جوبر بريف دمشق ٢٠١٢

المظاهرات السلمية في مدينة داريا بريف دمشق ٢٠١١

وهكذا اشتدَّ القتل واستعرَ، فما من مظاهرةٍ إلا ونسمع أنَّ شباباً قُتلوا فيها، فكنتُ بعد ذلك أمنع الشَّبابَ ورُوَّادَ مسجدي من الخروج حرصاً على حياتهم؛ لأنَّ الذين يخرجون في المظاهرات هم خُلاصةُ الشباب في الالتزام والصِّدق والإخلاص والأخلاق والتَّفَوُّق في دراستهم وفي جامعاتهم.

حتى أنني في خطبة الجمعة التي رُفعت على اليوتيوب بعنوان « جريمة القتل « حذَّرتُ الشباب فيها مِن الخروج وقلتُ: (إنَّها مؤامرةٌ للقضاء على أمثالكم)، وقلتُ: (إنَّها مؤامرةٌ لتقسيم البلاد، فحذارِ من استغلال غَيرتكم بنداءاتكم وصيحاتكم، وإنْ شئتم أن أجعل نداءاتكم وصيحاتكم على منبر جامع زيدٍ الذي اعتاد النِّظام أن يسمع كلمة الحقِّ من ذاك المنبر، فعلتُ، ولعلَّها أبلغُ من مظاهراتكم التي تتعرَّضون فيها للخطر، فأنا جاهزٌ لأن أتكلَّم على المنبر أضعاف ما تُطالبون به، مع علمي أنَّني قد أتعرَّض للقتل، إلا أنَّ أملنا بكم لحمل الرَّاية بعدنا يجعلنا نُضحِّي بأنفسنا عنكم).

لكن المؤامرة جعلت النِّظام يزداد بأسه قتلاً واعتقالاً وتعذيباً، مما جعلنا نوقن بأنَّ النظام جزءٌ من المؤامرة، حيث جعل بعض الشَّبابِ يقول لي: إنَّ استشهادَ فُلانٍ وفلانٍ وفلانٍ من شبابنا، واعتقال الآلاف منهم يجعلُنا نفكِّرُ بحمل السِّلاح حتى ندافع عن أنفسنا وأعراضنا، فغضبتُ حينها غضباً شديداً، وفي يوم الجمعة ذكرتُ ما جرى بيني وبين الشابِّ من حوارٍ وقلتُ: (إنْ كانت المظاهراتُ ستتحوَّلُ من سِلْمِيَّةٍ إلى مُسَلَّحةٍ؛ فأقول: إنَّ مُظاهراتِكم حرامٌ حرامٌ حرامٌ).

فما كان من النِّظام إلَّا أن اختزل عبارة الخُطْبة ووضعَها على الشَّريطِ الإخباريِّ: الشَّيخ سارية: المظاهراتُ حرامٌ حرامٌ حرامٌ!

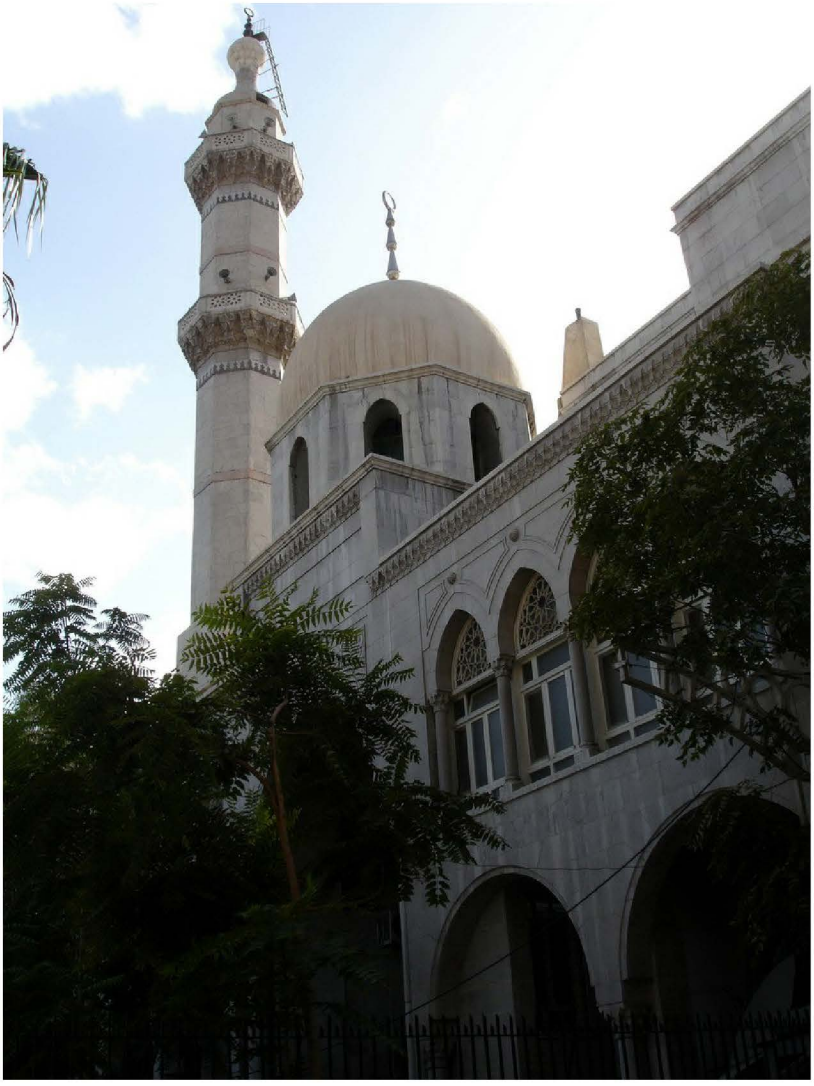

مسجد زيد بن ثابت الأنصاري في دمشق

وفي اليوم التالي تكلَّمتُ مع المسؤول الأمنيِّ في القصر الجمهوريِّ وقلتُ: إنكم تكذِّبون على لساني، وقلتم كذا وكذا، فأنا مضطرٌّ لأن أُكذِّب الإعلام السوريَّ وأفضحَه على الفضائيَّات الأخرى، فقال لي: أيُرضيكَ أن تُبَثَّ الخُطْبة بكاملها؟ قلتُ: نعم، وفي

المساء بثُّوا الخطبة بأكملها، وهذا نوعٌ من استرضائي لأسكُتَ عن تصرُّفاتهم، ولكنْ هيهات هيهات...

وهنا -كما ذكرتُ- تحوَّلت سِلْمِيَّةُ المظاهرات إلى تسليحٍ، وكأنَّ النظام كان ينتظرها، وقد قتل خلال سِلْمِيَّة المظاهرات في خمسة أشهر أكثر من ستة آلافٍ بإقرارٍ من بشار الأسد، ليصل عدد القتلى بعد ذلك إلى عشرات الآلاف، وليكون لدى النظام المبرِّرات لتدمير المساجد والمشافي والمدارس والبيوت، وتشريد الملايين عن مدنهم وقُراهم.

آثار الدمار في مدينة دوما بريف دمشق - آب ٢٠١٣

مؤتمر الحوار برئاسة فاروق الشرع:

في الأشهر الأولى من الثورة، وتحديداً في ١١/ ٧/ ٢٠١١م كان لدى النِّظام شيءٌ من الدبلوماسية ومحاولة الاسترضاء، فدُعيتُ إلى مؤتمرٍ للحوار الذي انعقد في فندق صحارى، وقد دُعِيَ إليه عددٌ كبيرٌ من المثقَّفين ورجال الدين المسيحيِّ، مثل الأب إلياس

زحلاوي، وبعض الإسلاميِّين مثل محمد حبش، ولقد تكلَّمتُ على المنبر يوم الجمعة، وقلتُ: (لقد دُعِيتُ إلى هذا المؤتمرِ، فرفضتُ الحضورَ؛ لأنَّني لستُ متخصِّصاً بالسِّياسة ولا بالاقتصاد إن كانوا يريدون بحث هذين الأمرين، أما ما يخصُّ الدِّين؛ فأنا أحذِّر الحاضرين جميعاً وأقول لهم: إن الدِّين مُقدَّسٌ، فينبغي أن يتعهَّد جميع المؤتمِرين المحافظةَ عليه وعلى مؤسَّساته ورموزه،وإلَّا: فأُقسمُ بالله أنه لن يهنأ لكم عيشٌ إن أسأتُم للدِّين ومقدَّساته، وإياكم أن تستغلُّوا بُعدنا عن مثل هذه المؤتمرات أو عن السياسة عموماً، فنحن لا نسعى إليها ولسنا من أهلها).

وأنا على يقينٍ بأنَّ فكرة المؤتمَر تمَّت دون استئذان القوَّة الفاعلةِ -وهي إيران- في اتِّخاذ القرار، لذلك جمدت نتائج هذا المؤتمر بعد أن ظنَّ الشعب السوريُّ الثائرُ أنَّ الدولة جادَّةٌ في الإصلاح، ولكنَّ القوَّة الفاعلة الخارجيَّة وجدت أنَّ الإصلاح يعني زوال النظام، وبالتالي خسرت بزواله استراتيجيَّةً أعدَّتها تلك القوة في سوريا وفي المنطقة كلِّها.

وهكذا مضى مؤتمر الحوار دون جدوى، بل لعلَّ القيادة عُوقبت على هذا الاقتراح؛ لأنّ أيَّ إصلاح يتمُّ؛ فهذا يعني نهاية حُكْم هذا النظام الذي يُعزِّز هيمنة إيران على بلاد الشَّامِ؛ لتكونَ سوريا ولايةً من ولايات إيران، هكذا يُصرِّح الكثير من آياتهم و علمائهم.

وفي هذه الأثناء زارني مجموعةٌ من الشباب يطلُبون منِّي وبإلحاحٍ أن نشكِّل حزباً مقابل حزب البعث الاشتراكيِّ، ظانِّين أنَّ مؤتمر الحوار سيؤتي أُكُله، وسيشارك الشَّعبُ في قرارات البرلمان بعيداً عن هَيْمَنة حزب البعث مثبِّتِ حُكْم الطائفة العلويَّة، ومؤلِّه العائلة الأسدية، ويتعهَّدون إن كنتُ أنا والشيخ أسامة على رأسه أن يكون الحزب الأوَّل في سوريا، فقلتُ لهم: (إننا مشايخ لنا مكانتُنا عند الملتزِمين والمتُفَلِّتين والعلمانيِّين

والإسلاميِّين، ونحظى باحترامهم جميعاً، فالذي أخشاه إن شكَّلْنا حزباً أن نتعرَّض للمهاترات والاتهامات والافتراءات -شأن الأحزاب فيما بينهم -، ونفقد مكانتنا واحترام الجميع لنا).

من مؤتمر اللقاء التشاوري للحوار الوطني الذي عقد بدمشق - تموز ٢٠١١

ونحن نلاحظ أيام الانتخابات مجيء الشخصيَّات من كلِّ الانتماءات والتوجهات ليقدِّموا الخدمة في كلِّ ما نطلبه منهم، المهم أن نرضى عنهم، والسَّبب الآخر: وهو أن الحزب الفائز ينبغي أن يُقدِّم تنازلاتٍ على حساب دينه ليرضى عنه الغرب والعرب، ولئن سُئل الإسلاميُّ: هل تريد أن يكون دين الدولة الإسلام؟ فإنه يحاول التهرُّب من الجواب؛ حتى لا يُوصم بالتطرُّف و الإرهاب.

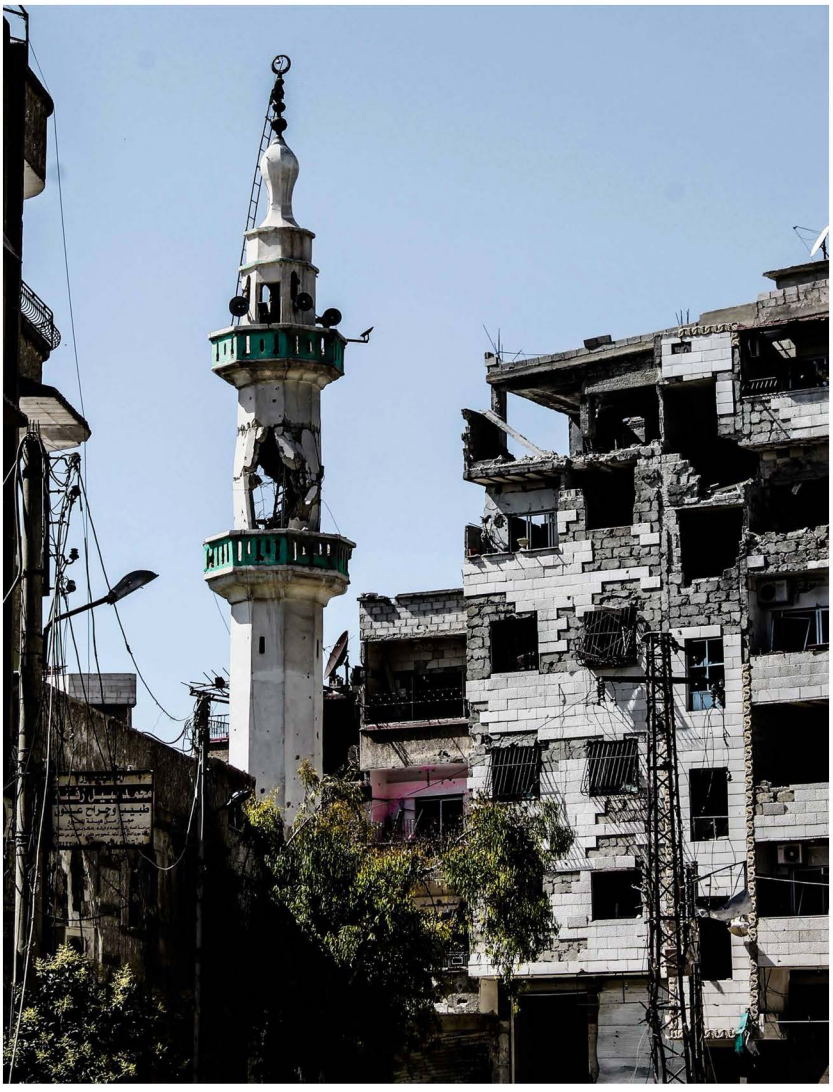

مئذنة أحد مساجد مدينة دوما بعد تدميرها من قبل قوات النظام – تموز ٢٠١٣

مواقف علماء الشام من الثورة السورية وانقسامهم ما بين مؤيِّدٍ ومُعارضٍ ومعتزلٍ:

انقسم علماء سورية في مواقفهم من قضيَّةِ الثورة السُّورية إلى فئاتٍ ثلاثٍ:

فمنهم من جهر بكلمة الحقِّ، وأعلن وقوفَهُ إلى جانب الثائرين على الظُّلْم والفساد والمنادِين بالحريَّة من اليوم الأول.

ومنهم من خشِيَ بطشَ النظام، فآثرَ الصمتَ والسُّكوت، واعتبر ما يجري فتنةً ينبغي اعتزالُها.

ومنهم مَن خاف على مؤسَّسته الدعويَّة أو منبره أو معهده، وخشِيَ مِنَ النظام أن يقوم بإغلاقها، فتظاهرَ بالوقوفِ إلى جانب النِّظام.

وفي قرارة نفسي: لا أعتقدُ أن واحداً من هذا الصنف الثالث قانعٌ أو مُصدِّقٌ لروايات النِّظامِ وأكاذيبه، لكنَّه اختار سبيل التَّمَلُّقِ والتأييدِ ليُحافِظَ على عَمَله ومكانته عند أركان النِّظام، وليحمي مؤسَّسته وطلابه، وأنا لستُ مِنَ المؤيِّدين لهذا المنهج الثالث بحالٍ من الأحوال، و ما أظنُّ أنَّ هذا الحرص على المؤسسات العلمية والمعاهد الشرعية غاب عنَّا ونحن نتكلَّمُ كلمة الحقِّ في وجه النِّظام، بل إنَّنا -والله- حريصون عليها كحرصهم إنْ لم يكن أكثرَ.

اتِّهام النظام للمعاهد الشرعية أنها حاضنة الإرهاب:

إن علماء هذه المؤسَّسات القائمين عليها يذكرون أن النِّظام أراد غير مرَّةٍ أن يصوِّرَ هذه المعاهد والمؤسَّسات العلميَّة على أنها حاضنةٌ للإرهاب؛ ليجعل مِن ذلك مبرِّراً لإغلاقها، وليُرضيَ أسياده في العالم في تنفير أبناء المسلمين أنْ يقصِدوها للعلم والمعرفة عائدِين إلى بلادهم دُعاةً وعلماء، وهذا ما شاهدناه ونشاهده في أندونيسيا وماليزيا وأفريقيا وتركيا وألبانيا وكوسوفو وأوروبا من شبابٍ درَسوا في المعاهد الشرعيَّة في سورية؛ ليعودوا إلى بلادهم يُحبُّون الشام وعلماء الشام أكثر من حُبِّ أهل الشام لها.

لقد أراد النظام قبل الثورة بشهورٍ أن يشوِّه صورة هذه المعاهد على أنها تُخرِّج

إرهابيِّين، ففي السابع عشر من أيلول من عام ٢٠٠٨ حصل تفجيرٌ عند فرع الدَّوريَّات في منطقة القَزَّاز، فاستثمر النِّظام هذا الحدث، وقام بما هو أشبه بتمثيليَّةٍ ساذجةٍ، حيث ألقى القبض على بعض طلاب العلم من معهد الفتح الإسلاميِّ، وحقَّق معهم في أحد فروع الأمن، وقام النظام بنشر هذا التحقيق على شاشة التلفزيون السُّوريِّ، وقد شاهد الشعب السوريُّ هذه المسرحيَّة وما جرى من الحوار بين الإرهابيِّ المزعوم وعنصر الأمن المحقِّق، واتَّضح لدى كلِّ مشاهدٍ أنها تركيبةٌ، ويا ليتها كانت ناجحةً، بل كانت فاسدةً بكلِّ المقاييس!

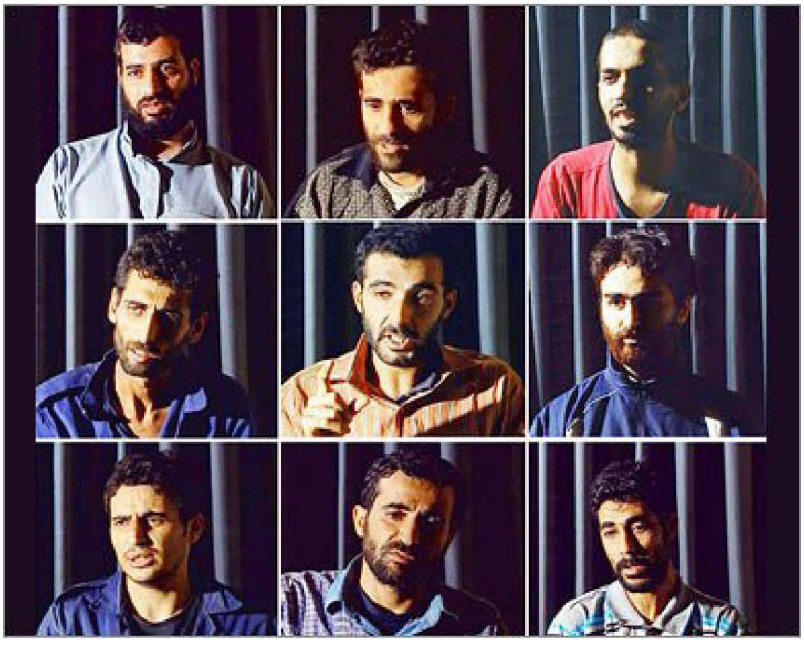

صور المتهمين بتفجير القزاز الذين عرضهم التلفزيون السوري و أشار الى أنهم من خريجي معهد الفتح الإسلامي

وجاء يوم الجمعة لأقيمَ النَّكيرَ على النظام وما يحيكه مِن مكرٍ لهذه المؤسَّسات والمعاهد الشرعيَّة في تعليمها وتربيتها، فتكلمتُ ما شاء الله أن أتكلَّم على منبر جامع

زيدٍ، وفي صباح يوم السبت اتَّصل بي اللواء رستم غزاله، وقال: إمَّا أنْ تأتيَني أو آتيكَ، قلتُ: بل آتيك.

وذهبتُ واستقبلني أحسن استقبال، غيرَ أنني بادرتُه بانفعالي، وأظهرتُ له انزعاجي الكبير، وقلتُ: والله ما وجدتُ أحمقَ مِن مُخرِج المسرحية التي شاهدها شعبُ سورية على الفضائيَّة بالأمس، وما أظنُّ أنَّ التحقيق جرى عندكَ بالفرع، قال: بالفعل، وأصدُقُك أنه لم يتمَّ عندي بل في فرعٍ آخر، ثم قلتُ له: ثِقْ تماماً أن هؤلاء المتَّهمين بالإرهاب ليس منهم واحدٌ من طلابي، أو يدرس في معهدٍ من معاهدنا، بل هو في معهد الفتح الإسلاميِّ الذي أسَّسه فضيلة الشيخ صالح الفرفور رحمه الله، وليس الشيخ عبد الكريم الرفاعي، لكنني مطالَبٌ أن أدافع عن المظلومِ أيّاً كان المظلوم، فكيف إن كان يتَّصل بعلماء وطلاب العلم في هذا البلد.

إنني أريد أن أقول بأنَّ معاهدنا لا تعرف الإرهاب ولا الانحراف عمَّا رسمه شيوخُنا من العلم والتعليم والتربية والتزكية على منهج النبوَّة، وما عَرف طلابُ العلم في سورية إلا الصَّفاء والنَّقاء وحُبَّ الخير للناس « مؤمنهم و كافرهم «، والرحمة لكلِّ عباد الله في توجيههم إلى التَّخلُّق بالأخلاق القويمة.

ثم قلتُ للواء رستم: إنكم اليوم تتَّهمون بعض طلاب معهد الفتح الإسلاميِّ، وغداً تتَّهمون معهد الأنصار، وبعدها معهد الفرقان وطلابَ جامعِ زيد، فالإعلام بيدكم، ولا نستطيع أن ندافع عن أنفسنا، لذلك بادرتُ على منبر جامع زيدٍ بتكذيب هذه الفِرْية، وكشف هذا الزَّيْف قبل أن يَطال هذا المكرُ كلَّ المعاهد الشرعيَّة والمؤسَّسات التعليمية، فما كان من رستم غزالة إلا أن تبرَّأ من هذه الاتِّهامات، وقال: إنَّ فرعه لا علاقة له بالتَّحقيقات التي ظهرت بالفضائية السورية، بل كانت في فروعٍ أخرى.

سارية عبد الكريم الرفاعي:

- أحدُ أبرز دعاة بلاد الشام المعروفين، ابن العلَّامة الراحل الشيخ عبدالكريم الرفاعي.
- ولد في دمشق عام ١٩٤٨م، وخلَفَ والده في إمامة وخطابة جامع زيد بن ثابت الأنصاري في دمشق بعد وفاته عام ١٩٧٣م.
- أسَّس في دمشق (مكتبة الغزالي) للطباعة والنشر عام ١٩٦٩م.
- قرأ على عدد من علماء الشام الكبار، وحصل على الماجستير في التفسير من جامعة الأزهر كلية أصول الدين عام ١٩٧٥م.
- غادر دمشق في هجرته الأولى عام ١٩٨١م إلى السعودية تحت ضغطٍ أمنيٍّ شديدٍ مُورِس على رموز الدعوة في سوريا في ذلك الوقت.
- عاد إلى دمشق عام ١٩٩٣م مع ثُلَّةٍ من العلماء، وقاموا بتجديد النهوض بالعمل الدعوي فيها منذ ذلك الحين.
- قام بالعديد من المبادرات الاجتماعية والإنسانية، كان أبرزها (مشروع حفظ النِّعمة الخيري) بأقسامه المتعدِّدة الذي أضحى نموذجاً يُحتذى به في العمل الإغاثي في سوريا.
- اتَّخذ موقفاً بارزاً في بدايات الثورة ضدَّ مُمارسات الجيش السوري تجاه المتظاهرين السِّلْمِيِّين، اضطرَّ على إثْر ذلك إلى مغادرة البلاد مجدَّداً عام ٢٠١٢م إلى مصر، ثم إلى اسطنبول، مُتابعاً مسيرته في العطاء من خلال (مؤسَّسة زيد بن ثابت الأهليَّة) التي أسَّسها في مصر، وانتقل بها إلى اسطنبول سنة ٢٠١٣م حتى يومنا هذا.

KORSANI DEĞİL BENİ OKU

ISBN 978-605-7618-26-9

مكتبة الأسرة العربية
اسطنبول
نحو أسرة عربية واعية..
ARAP AİLE KÜTÜPHANESİ - ISTANBUL
طباعة ونشر وتوزيع
إصدارات مُختارة للأسرة العربية
UFUK neşriyat
BASIN-YAYIN-DAĞITIM

www.ArabFamilyBs.com
+90 212 631 81 09
+90 531 935 71 31
info@arabfamilybs.com